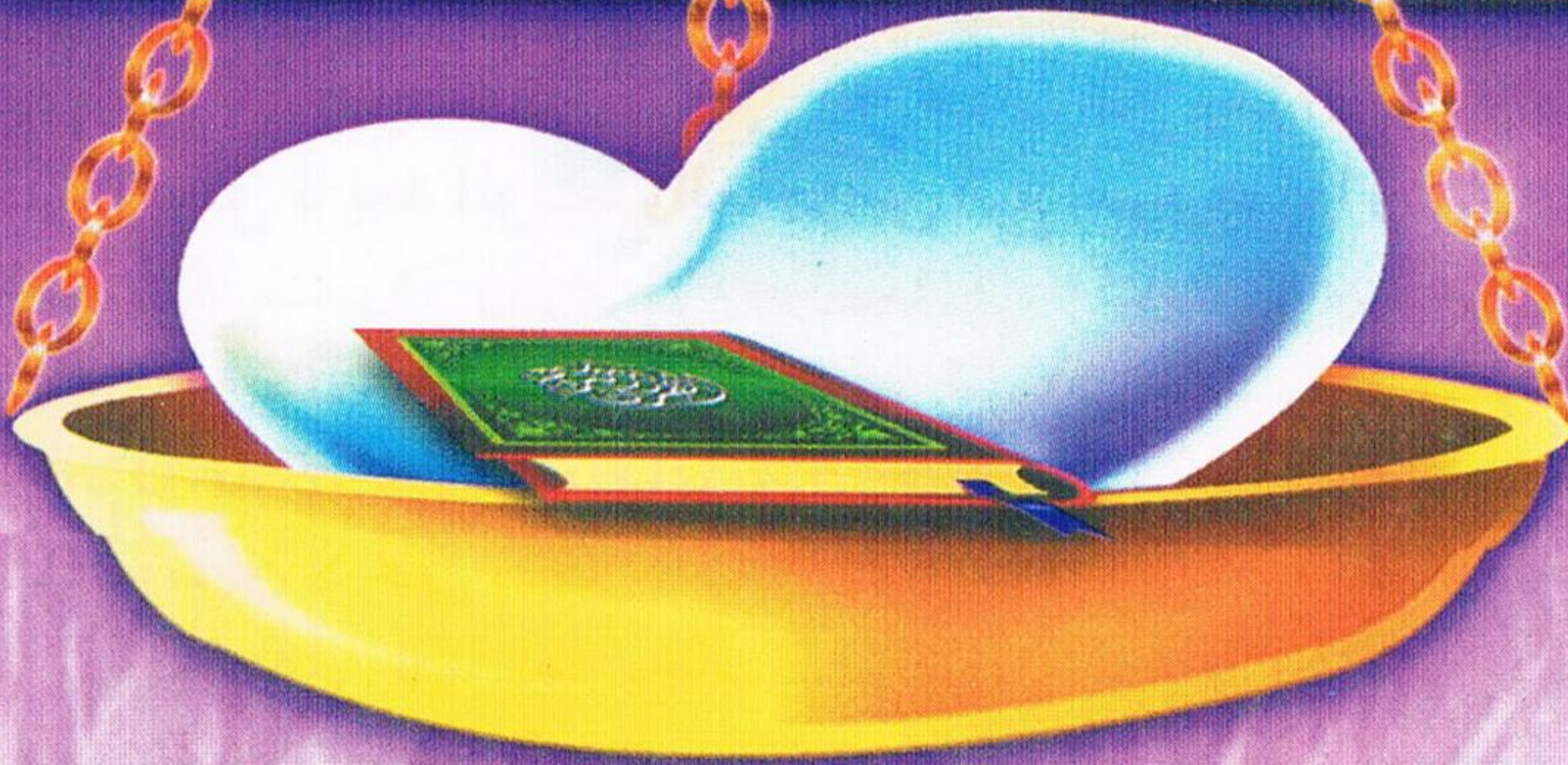




# محاسبة النفس



فضيلة الشيخ صالح العليوي

الرياض ص.ب ٦٣٧٣ الرمز ١١٤٤٢ هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠  
جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ ف: ٦٣٣٣١٩١ بريدة ت: ٣٢٦٢٨٨٨ ف: ٣٦٩٢٨٨٨  
الدمام ت: ٨٤٣١٠٠٠ ف: ٨٤١٣٠١١ خميس مشيط ت: ٢٢٢٢٢٦١ ف: ٢٢٢٣٠٥٠  
[www.dar-alqassem.com](http://www.dar-alqassem.com)



## محاسبة النفس

الحمد لله الذي وعد من حاسب نفسه، وأخذ بزمامها الأيمن يوم الوعيد، أحمدته - سبحانه - شرف أوليائه، وتفضل عليهم بيوم المزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الحميد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير داع إلى المنهج الرشيد، والهدى السديد، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم قدوة الناس في محاسبة النفس، حذراً من يوم هوله شديد، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم لا مفر منه ولا محيد، وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أما بعد:** فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومحاسبة أنفسكم، فإن محاسبة النفس هي طريق استقامتها، وكمالها وفلاحها وسعادتها، يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨] قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم.

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠]، قال الإمام البغوي - رحمه الله - في تفسيره: قال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها، وحملها على طاعة الله - عز وجل -، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية.

وفي الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» [رواه الأمام أحمد، والترمذي]. وروى الإمام أحمد في «كتاب الزهد» عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨]»، ونقل ابن القيم عن الحسن أنه قال: «المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة». . . وقال وهب فيما ذكره الإمام أحمد - رحمه الله -: «مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل، أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يتخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات وإجماماً للقلوب». وقال ميمون بن مهران: «لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه. ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بما لك». وكتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى بعض عماله: «حاسب نفسك في الرخاء



قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة، عاد أمره إلى الرضى والغبطة، ومن ألتهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة» [أخرجه البيهقي في الزهد وابن عساكر].

ونقل ابن الجوزي في «ذم الهوى» عن السلمى قال: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: «من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات، محصوراً في سجن الهوى، وحرّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ كلامه ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه»، وقال الشيخ عبد العزيز السلطان - رحمه الله - في كتابه «موارد الظمان»: «فإذا علم أنه مناقش في الحساب عن مثاقيل الذر، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أحوج ما يكون إلى الحسنات، وغفران السيئات، تحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا اعتماداً على الله، ومعاونته على محاسبة نفسه، ومراقبتها ومطالبتها في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه».

تجهزي بجهاز تبلغين به يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثاً  
وحاذري سقطة النذل وانكسري بباب كريم كم هدى وعفا  
واخشي حوادث صرف الدهر في مهل واستيقظي لا تكوني كالذي سقطا  
في هوة النذل كان فيها قطع مدته فوافت النفس سعيها كما سلفا

قال ابن قدامة في منهاج القاصدين: «واعلم أن أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمانة بالسوء، ميالة إلى الشر، وقد أمرت بتقويمها وتركيتها، وفظامها عن مواردنا وأن تقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها، فإن أهملتها جمحت وشردت، ولم تظفر بها بعد ذلك، وإن لزمتمها بالتوبيخ رجونا أن تصير مطمئنة، فلا تغفلن عن تذكيرها».

واعلموا عباد الله: أن محاسبة النفس أنواع:

قال ابن القيم - رحمه الله -: «ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل. ونوع بعده».

**فالنوع الأول:** الذي هو قبل العمل فهو: أن يقف عند أول همه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحان العمل به على تركه، قال الحسن - رحمه الله -: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر.

**النوع الثاني:** محاسبة النفس بعد العمل وهو: ثلاثة أنواع:

**أحدها:** محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله - تعالى - فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي. ثم يحاسب نفسه هل قام بطاعة الله على وجه يرضي الله - تعالى - أم قصر بذلك؟

**الثاني:** أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.



**الثالث:** أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد؛ لم فعله؟ وهل أراد به وجه الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به».

### ولحاسبة النفس ثماراً ومنافع عظيمة، منها:

١ - الاطلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكنه إزالتها.  
٢ - المحاسبة توجب للإنسان أن يمقت نفسه في جانب حق الله عليه، وهذه كانت حال سلف الأمة، كانوا يمقتون أنفسهم في مقابل حق الله عليهم، روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً».

وقال محمد بن واسع محققاً نفسه وهو من العبّاد: «لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس معي». قال ابن القيم - رحمه الله -: «ومقت النفس في ذات الله من صفات الصّديقين، ويدنو العبد به من ربه - تعالى - في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل. وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقتته».

٣ - ومن ثمار محاسبة النفس إعانتها على المراقبة، ومعرفة أنه إذا اجتهد بذلك في محياه استراح في مماته، فإذا أخذ بزمامها اليوم وحاسبها استراح غداً من هول الحساب.

٤ - ومن ثمارها أنها تفتح للإنسان باب الذل والانكسار لله، والخضوع له والافتقار إليه.

٦ - ومن أعلى ثمارها الربح بدخول جنة الفردوس وسكناها، والنظر إلى وجه الربّ الكريم - سبحانه -؛ وأن إهمالها يعرض للخسارة ودخول النار، والحجب عن الله وصليّ العذاب الأليم.

وترك محاسبة النفس وإهمالها، له أضرار عظيمة، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وأضرُّ ما عليه: الإهمال، وترك المحاسبة والاسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور، يغمض عينيه عن العواقب ويمشي الحال، ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه موقعة الذنوب وأنس بها، وعسر عليه فطامها، ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد».

قاتقوا الله عباد الله، وحاسبوا أنفسكم، فإن صلاح القلب وسلامته بمحاسبة النفس، وفساده وعطبه بإهمال النفس والاسترسال في ملذاتها، وشهواتها وإهمال ما به كمالها، فاحذروا ذلك تعزوا أنفسكم، وتسعدوا عند لقاء ربكم، ،  
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة يصلك شهرياً (٤ كتيبات - ٤ كتيب جيب - ٤ مطويات)  
باشترارك سنوي (١٧٥) ريال.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطابع دار القاسم: ٢٧٠٩٥٥٥ ف: ٢٧٠٧٧٠٨